

زُقطة.. وسطر جديد



لكن؛ ماذا لو أصْرَّت الحروفُ عَلَى أن تُكْتَبَ كلاًّ هَا عَلَى السُّطُرِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِيِّينَ الْقَلْمُ لرغبتها؟

يَدْسُونْ فِيهَا حِرْوَفَهُ، تُرِى هَل سَيَتَحْقِقَ لَهُ مَا يُرِيدُ؟

الذَّقْةُ وَالسُّطْرُ الْحَدِيدُ وَإِصْرَارُ الْحُرُوفِ عَلَى أَلَاّ تَبْيَحَ السُّطْرَ الْأَوَّلَ تُذَكِّرُنِي بِتَجَارِبِ الْمَاضِيِّ الْفَاشِلَةِ الَّتِي تُخِيدُّنِي بِعَتَّمَتِهَا عَلَى قُلُوبِ الْبَعْضِ، فَيَنْدَغُ مَسُونَ فِيهَا حَدَّ الْغَرْقِ !

أَسْرَى هُمْ لِأَحْزَانِهِمْ وَإِحْبَاطِهِمْ، وَإِذَا نَادَاهُمْ مُنَادِي الْأَمْلِ أَشَاحُوا بِوْجُوهِهِمْ عَنْهُ، وَأَصْمَّهُمْ وَآذَانَهُمْ،
ثُمَّ مَضَوا مُهْرَولِينَ إِلَى حِيثُ يَقْبَعُونَ دَائِمًا فِي تِلْكَ الزَّاوِيَةِ الْكَئِيبةِ فِي غُرْفَهُمِ الْمُنْزُوْيَةِ، لَا
يَقْوُونَ عَلَى فَعْلِ شَيْءٍ سَوْيَ الْبُكَاءِ وَالنَّحْيَ عَلَى مَا فَاتَهُ، وَالْأَسْى عَلَى مَا هُوَ آتٍ، مُكْبَلِينَ بِالْعَجزِ
وَقَلَّةِ الْحِيلَةِ وَسُوءِ التَّدْبِيرِ!

وَنَظَرُهُمْ قَصِيرٌ الْمَدِي وَفِي اِتِّجَاهٍ وَاحِدٍ. كَأَنَّ دَاءَ التَّمَطِّبِ أَصَابَ رَقْبَتَهُمْ، وَإِذَا سَأَلْتَهُمْ: مَاذَا
تَرَوْنَ؟ أَجَّا بُوكَ: الْسَّوَادُ يَبْسُطُ رِداءَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا نَرَى شَيْئًا!

حَمَرَ مَوْا أَنفُسِهِمْ بِأَنفُسِهِمْ مُمْتَعِةً الْمَحاوِلَةِ الْجَادَةِ لِلْبَدَءِ مِنْ جَدِيدٍ، حِينَمَا أَسَاءُوا الطَّنَّانَ
بِالْجَلَّالِ.

وَلَمْ يَفْقَهُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ...) (الرَّعْدُ: 11).

لَا أَعْلَمُ كَيْفَ يُقْاسِي النَّجَاحَ عِنْدَ بَنِي الدُّنْيَا، وَبِمَا يُقْاسِي الْفَشْلَ؟

لَكَّنِي عَلَى يَقِينٍ أَنَّهُ لَا يَوْجُدُ نِجَاحٌ مُمْطَلِّقٌ أَوْ فَشْلٌ مُمْطَلِّقٌ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ بِلَ تَجَارِبُ وَخَبَرَاتُ.. .

فَكُمْ مِنْ تِجَرْبَةٍ فَاشِلَةٍ جَعَلَتْنَا نَقْفُ مَعَ أَنفُسِنَا وَقَفَّةً تَفْكِيرٍ وَتَدْبِيرٍ، وَكَمْ مِنْ تِجَرْبَةٍ قَاسِيَةٍ
كَانَتْ

فِي أَنْ نَتَعَلَّمَ سَرَّاً جَدِيدًا مِنْ أَسْرَارِ النَّجَاحِ...!

نَعَمْ؛ فَمَا كَانَ سَرَّاً بِالْأَمْسِ أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنْ أَبْجَدِيَّاتِنَا، وَلِلِيَوْمِ سَرَّهُ الَّذِي لَمْ يُكْتَشَفْ بَعْدَ،
حَتَّى إِذَا مَا تَمَّ اكْتِشافَهُ، بِتَوْفِيقٍ مِنْ أَنَّهُ تَقْدِيمًا خَاطِئَةً فِي دَرْبِ الْفَلَاحِ، وَهَكَذَا... .

فَالْتَّجَارِبُ الْفَاشِلَةُ لَا تَنْتَهِي إِلَّا بِأَنْتِهَاءِ الْأَجَلِ، لَكَّنَهَا تَقْلِي بِزَيَادَةِ الْوَاعِيَةِ وَالْخِبَرَةِ، وَلَا
تُكْتَسِبُ الْخِبَرَةَ إِلَّا بِسَبِّرِ أَغْوَارِ الْحَيَاةِ، وَخُوضُ التَّجَارِبِ وَالتَّعْلِمِ مِنْهَا، وَمِنْ ثُمَّ تَجَاوزُهَا
لِمَا بَعْدَهَا بِتَحْدِيدٍ وَإِيمَانٍ كَبِيرِينَ وَقُلُوبٍ لَا يَعْرِفُ الْحِقْدَةَ!